المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية

المجلد الثالث عشر

خريف ١٩٨٤

العدد الثالث

كتاب «المعاريض» لابن فارس

تحقيق الدكتور

أحمد خان

مجمع البحوث الاسلامية ـ الجامعة الاسلامية

اسلام اباد ـ باكستان

كتاب «المعارض» لابن فارس

تحقيق الدكتور

أحمد خان

مجمع البحوث الاسلامية ـ الجامعة الاسلامية

اسلام اباد ـ باكستان

كتاب «المعاريض» لابن فارس

تحقيق الدكتور

أحمد خان

مجمع البحوث الاسلامية ـ الجامعة الاسلامية
اسلام اباد ـ باكستان

مقدمة

ان التعريض خلاف التصريح ، وهي مشتقة من العرض . تقول : عرضت الجارية على البيع والمعرض ثوبها الذي تعرض فيه وقد يتخير لها احسن ما يمكن من المعاريض ليشبها ويحفلها في عين مبتاعها . فالتعريض من هذا لان المخاطب يريد لمخاطبه غير ما يظنه السامع فيبديه بمعرض حسن يريد به المغالطة(١) .

كتب عديد من العلماء في هذا الباب واوردوا شيئا من تفاصيلها كما اظهروا الفرق بينه وبين الكناية(٢) . ولكن ابن فارس أسبقهم في الميدان واوضحهم في الفهم والاتيان باكثر منهم اذ هو جمع نحو ٨٠ معرضا في هذه الرسالة التي نقدمها اليوم إلى محبي التراث اللغوي .

١ ـ قبل أن نصف الرسالة علينا ان نوثق نسبتها الى ابن فارس لأن مترجميه لم يشيروا اليها ضمن تاليفه ولا نجد ذكرها عند ابن فارس نفسه. لهذا لابد لنا أن ننوه الى كيفية بقاء الرسالة من لعب الزمان وكيف وصلت الينا لان هذا البحث سيمدنا بمعلومات مفيدة عنها ويسهل علينا الطريق الى وصول ما ننويه من نسبة الرسالة .

كان من دأب الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (م ٦٥٠هـ) الذي الف كتبا عديدة في مجال اللغة(٣) ان ينسخ اصولا لغوية بيده كما كتب لنفسه تاليفات اللغويين القدماء وفيها تاليفات ابن فارس التي كانت جميعها لديه كما يدل عليها معجمه العباب الزاخر(٤) وكعادة العلماء في ذلك الزمان حضر لديه اي لدى الصغاني عالم كبير وهو شرف الدين عبدالمؤمن الدمياطي (م ٧٠٦هـ) سنة ٦٥٠ من الهجرية ونسخ بيده كتبا لغوية كانت عند الصغاني ببغداد وقراها عليه . وضمن هذه الكتب رسائل ابن فارس اللغوية التي وصلت الينا من هذه الواسطة في مجموعة توجد في مكتبة بودليان (Bodleian) باكسفورد فيها :

١ ـ كتاب الثلاثة : طبع بمصر بتحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب سنة ١٩٧٠م .

٢ ـ كتاب افراد كلمات في القرآن : حققتها ونشرت في مجلة الدراسات الاسلامية باسلام آباد في يونيو ١٩٨٣م .

٣ ـ كتاب استعارة اعضاء الانسان : نشرت في مجلة المورد سنة ١٩٨٣م العدد الثاني .

---

(١) مقدمة الرسالة .

(٢) يحيى بن حمزة بن علي ابراهيم العلوي : كتاب الطراز (المقتطف ، ١٩١٤م) ج ١ ص ٤١٨ . وابن الاثير : كتاب المثل السائر (بولاق ، ١٢٨٢هـ) ص ٣١٦ .

(٣) لغوي عظيم من القرن السابع الهجري ، لترجمته المسهبة واعماله الجمة انظر مقدمة كتاب الانفعال ، له الذي طبع سنة ١٩٧٧م باسلام آباد بتحقيقي تقديمي .

(٤) العباب الزاخر واللباب الفاخر . طبع جزؤه الاول المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٨م ، راجع مقدمته ص ١٦ .

٤ ـ كتاب المعاريض : هذه الرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها . في بداية هذه الرسائل نقل الدمياطي فهرس كتب ابن فارس ، الذي رآه عند الصفاني في مكتبته ببغداد ، كما سبق ان قلت .

وفي هذا الفهرس ورد اسم هذه الرسالة(٥) . ولاشك في ان الصفاني اعطانا هذه الرسالة والفهرس الذي يذكر عنوانها ، اي كلاهما من قبل عالم واحد . فالقارىء حر في شكه بهذا الخبر الواحد ولعله سيطلب منا الأدلة في نسبة الرسالة . فها أنا أسوق بعض ادلتي في هذا المضمار .

٢ ـ وما من شك ان اسم الصفاني كان كافيا ضمن نسبة هذه الرسالة الى مؤلفها لان الصفاني هو الذي نسخها مباشرة من عدة نسخ الرسالة ومنها واحدة بيد ابن فارس . ومن ثم اضاف عليها كثيرا من الحواشي وعلق عليها التعليقات المفيدة ، وكان الصفاني ما كان في الثقة وصحة نسبة الكتب الى مؤلفيها بدرجة قصوى لا يباريه احد فيها فبهذا الخصوص ما كنا نحتاج الى ادلة أخرى في هذا الصدد . ولكن نورد شيئا من الأدلة الداخلية ليطمئن قلب من يساوره الشك:

أ ـ وعلى رأس كل شيء فان اسم ابن فارس قد ورد في مقدمة الرسالة .

ب ـ وكان من دأب ابن فارس أن يذكر في متن تاليفاته أسماء اساتذته او أسماء من أخذ عنهم العلم . ونرى في هذه الرسالة اسم الشيباني (واحد من أساتذته) يتردد مرة في هذه الرسالة ومرارا في كتبه الأخرى(٦) .

ج ـ عندنا شواهد اخرى داخلية وهي ان ابن فارس اورد نفس العبارات في هذه الرسالة التي نجدها في مقاييسه في اللغة وكتبه الاخرى ، فمثلا :

١ ـ تحت كلمة النبيلة :
في الرسالة ـ النبيلة الجيفة : يقال تنبل البعير اذا مات .
وفي المقاييس ـ تنبل البعير : مات ، والنبيلة الجيفة (٣٨٣/٥) .

٢ ـ تحت كلمة حريص :
في الرسالة ـ قولك : حرص القصار الثوب اذا شقه .
وفي المقاييس ـ يقال : حرص القصار الثوب اذا شقه (٤٠/٣) .

٣ ـ تحت كلمة بهاء :
في الرسالة ـ بهى إذا تخرق .
وفي المقاييس ـ ربما قالوا : بهى البيت بهاء إذا تخرق (٣٠٦/١) .

٤ ـ تحت كلمة العذرة :
في الرسالة ـ وجع الحلق .
وفي المقاييس ـ العذرة وجع يأخذ في الحلق (٣٥٦/٤) .

٥ ـ تحت كلمة اسعد :
في الرسالة ـ والاسعاد لا يكون إلا في البكاء .
وفي المقاييس ـ والاسعاد لا يكون إلا في البكاء . (٧٥/٣) .

وهناك كلمات أخرى وردت مع شرحها في الرسالة بنفس العبارات التي نجدها في المقاييس : لو تتبعنا كتب ابن فارس اخرى وقابلناها بهذه الرسالة لوجدنا كثيراً من التوافق بين عباراتها والرسالة .

٣ ـ بقي علينا ان ننوه بما في الرسالة من مواد، فان ابن فارس اورد فيها معاريض مما عرفها في كلام الله عز وجل والحديث النبوي والأدب العربي من شعر ونثر ، كما نقل قطعة من التاريخ ما دار بين الحجاج ولؤلوء العبدية من الخطبة وما ردتها بفطانتها ولم يسخط الحجاج عليها . لعله لا يكون غير الموضع بان اشير إلى أن ابن فارس يورد الأحاديث والاقوال المأثورة معنى لا لفظا ، على الاقل في هذه الرسالة . ومن الغريب انه جاء ببيت (تحت كلمة حاضر) مغايرا قافيته وأجمع اللغويون على ان قافية البيت المشار اليه هو « صامله »(٧).

---

(٥) ولئن كان جديراً بنا أن نسرد هنا الفهرس الذي يحوي العناوين لجميع الرسائل والكتب من تاليفات ابن فارس وفيه ٣٢ رسالة وكتاب جديدة لم تطرق سمع المحققين ولكن لانمل القارىء لأني قد اسهبت فيه القول في كتاب اخر . ولا ارى حرجا بالاشارة الى ان الصفاني هو الذي عرفنا بهذه العناوين .

(٦) ياخذ ابن فارس عنه من طريق القطان عن علي بن عبدالعزيز عن ابي عبيد انظر المقاييس في اللغة . ج ٢ ص ٣٨٨ ، ج ٣ ص ٣٧٧ .

(٧) انظر اللسان (عدمل) والعباب والتاج (عدمل) . وزد عليها ان الصفاني اورد البيت شاهدا على كلمة صامل في معجمه ، كما قطع الراي في حاشية الرسالة بقوله : انه قطعة لامية .

واثار ابو الحسن في هذه الرسالة مسئلة فقهية وهو السباب بالتعريض ، واشار فيها إلى اختلاف الفقهاء فيها كما دل على مذهبه وما يتعلق به ان المعرض بالسباب والقذف مثل المصرح لان غرضه يعلم فيه وثم ايد ابن فارس مذهبه بقول الامام مالك رضي الله عنه .

٤ ـ هذه الرسالة طريفة في موادها ولاشك في أن العلماء جمعوا عدة معاريض ولكنهم لم يتمكنوا من جمعها قدر ما جمعها ابن فارس . ولئن ترك ابو الحسن شيئا من المعاريض بدون شرح وكما فاته العديد منها ، فان هذه الرسالة مهمة لما حوت من المواد اللغوية من ناحية واخرى انه طرح امامنا الكلمات اللغوية ونبهنا إلى صوابها .

٥ ـ تشتمل الرسالة على ٧ اوراق وفي كل صفحة ١٩ سطراً ، كتبت بخط حسن مضبوط ، مصحوبة بطرر مفيدة من الصغاني اللغوي الكبير . ونقل الدمياطي ناسخ هذه الرسالة عدة من الرموز التي كانت مستعملة لدى استاذه الصغاني واظهر لنا نمط الكتابة واورد على حواشي الرسالة نفس الطرر التي كتبها الصغاني .

وختاما ، نرجو ان نكون قد وفقنا في خدمة هذا الاثر المهم من تراثنا اللغوي ، والله من وراء القصد .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد واله وسلم •قال ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا رحمه الله: سألت ــ اكرمك الله ــ عن المعاريض من الكلام وكيف تكــون ، ومِمّ اشتقاق لفظــة التعريض ومتى يحترز السامع ممن يعرّض له بلفظة جميلة الظاهر يريد معناها غير الجميل • واعلم ــ اعزك الله ــ ان التعريض لفظة مشتقــة من العرض ،تقول : عرضت الجارية على البيع ، والمعرض ثوبها الذي تعرض فيه وقد يتخير لها أحسن ما يمكن من المعارض ليشبها ذلك ويحفّلها في عين مبتاعها• فالتعريض من هذا لأن المخاطِب يريد لمخاطَبــه غير ما يظنه السامع فيبديه بمعرض حسن يريد به المغالطة كالذي بلغنا عن بعض المفوّهين انه قال لآخر : أنا اريد ان بُظهَر وتُعَان وتكلى وتُسر، فهذه معارض غير مكروهة في السمع وانما ارادبقوله تظهر يكســر ظهره وتعان تصاب عينه أو يصاب بعين وتكلى تصاب كليته وتسر تقطع سرته،قال الشاعر(١) :

نُسُــرّهم إن هُــم أقبلــوا وإن أدبرُوا فهُــم مــن نســب

اي نقطع سُــرَرَهم في اقبالهــم ونطعنهــم في مؤخرهم ، ومؤخر الانسان السبة • فهــذا هو الباب الذي سألت عنه •

[الفصل الاول]

وهو في حديث رسول الله صلى الله عليــه وسلم وفي غير ذلك من الأخبار والأشعار • ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه : مَا المَسيحُ بن مريــم إلاّ رسول" قَد خلت مِن قَبله الرُسُل ، وأمّه صديقة كانا يأكُلاَنِ الطعَام(٢) • وهذه كناية عما بالناس إليه الحاجة من (١٥٩و) اتيان مكان الخلوة ولكن الله جلّ ثناؤه حيّ كريم كنى عن ذلك باحسن اللفظ •

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثوب معصفر ، فقال : لو أن ثوبك هذا في تنور أهلك أو تحت قدر أهلك لكان خيرا لك •فذهب الرجل فلا يدري أيجعله في التنور أو تحت القدر ثم غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ما فعل الثوب ؟ ، فقال : صنعت به ما أمرتني،

---

(١) لم نهتد الى قائل البيت واما البيت ففي اللسان والصحاح : سرر .

(٢) سورة المائدة : ٧٥ . قال القرطبي (الجامع ٦/٢٥٠) . قال بعض : الغائط والبول وفي هذه دلالة على انهما بشران .

فقال صلى الله عليه وسلم : ما كذا امرتك ، أفلاألقيته على بعض نسائك • وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : لو كان في تنور اهلك،لو بعته واشتريت به دقيقا أو حطبا توقده لكان خيرا لك[٣] •

ومن ذلك ان رجلا أتاه برجل قتل حميماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتأخذ الدية ؟ قال : لا ، قال : فتعفو ؟ قال : لا ، قال فاذهب فاقبله • فلما جاوز به الرجل قال صلى الله عليه وسلم : إن قتله فهو مثله ، قال : فلحق الرجلَ رجلٌ فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا ، فتركه وهو يجر نسعة في عنقه[٤] • فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مثله في المأثم وكيف يريد وقد اباح الله قتله بالقصاص ولكنه عليه السلام لم يحب له ان يقتص واحب له العفو فعرّض له تعريضا أوهمه انه ان قتله كان مثله في الاثم ليعفو عنه ، وكان مراده انه يقتل نفسا كما قتل الأوّل نفسا وهذا قاتل وهذا قاتل فقد استويا في قاتل وقاتل إلاّ أن الأول ظالم والآخر مقتص •

ونحو هذا من التعريض قول علي رضي الله عنه : انكم اكثرتم في قتل عثمان إلاّ وأنّ الله قتله وأنا معه • فأوهم قوما انه كان ممن أعان(١٥٩ ظ) عليه • وانما اراد ان الله قتله وسيقتلني معه • والدليل على هذا ان عليا كان يوما بشط الفرات فاقبلت سفينة فقال علي رضي الله عنه : وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ، لا والذي انشأها في هذا البحر ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله أي ما عاونت[٥] •

ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصيب من الرأس وهو صائم • وهذا من لطيف الكناية وانما اراد انه يقبل وهو صائم[٦] •

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه:أولكن لحوقا بي أطولكن يدا • فاجتمعن يتطاولن

---

(٣) راينا هذا القول ولو باختلاف الكلمات العديدة معزوا إلى عبدالله بن سلام في كتاب المثل السائر ، لابن الاثير (ط بولاق ، ١٢٨٢هـ ، ص ٣٨٦ ، وقال يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي ـ كتابه الطراز (ج ١ ص ٤١٨) :هذا كلام حكاه ابن الأثير عن عبدالله بن سلام وهو مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم في سنن أبي داود ، اهـ وعندما رجعنا إلى السنن وتصفحنا اوراقه لم نظفر بهذا الحديث فيه ولا في كتب السنة المشهورة ، لعله من قول آخر لا نعرفه .

(٤) والحديث في الصحيح لمسلم (ط المكتبة الرشيدية بدهلي) ج ٢ ص ٦١ باختلاف المتن .

(٥) يوجد حديث علي رضي الله عنه (والله ماقتلت عثمان ولا مالأت في قتله) في النهاية في غريب الحديث (كلمة ملأ) . واما القول الأول والواقعة التي أوردها ابن فارس فلانجد ذكرهما في المصادر التي بين أيدينا .

(٦) والحديث في السنن للدارمي (ط الاعتدال بدمشق ، ١٣٤٩هـ) ج ١ ص ٢٤٥ .

فطالتهن سودة ، فماتت زينب أولهن . وانما اراد بقوله : أطولكن يدا بالعطاء والمعروف وكانت تعمل الأزمّة والأوعية تقوى بها في سبيل الله[٧] .

ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر أيقظ أهله ورفع المئزر[٨] وانما أراد برفع المئزر اعتزال النساء ، ولم يرد أنه كان يلقي المئزر عن نفسه وقد ذكر مثل ذلك الأخطل في قوله[٩] .

قَومٌ إذا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُم دُونَ النِّسَاءِ وَلَو بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

يقول : كانوا قبل الحرب مطلقي المآزر فلما حاربوا شدّوها دون النكح .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لو جُعِل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار لم يحترق . وانما اراد لم يحترق القرآن لان الله جلّ ثناؤه قد جعله في صدور الحفاظ . ولقوله : إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكرَ وانّا لَه لَحَافِظُون[١٠]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للراجز الحادي : رويدك سوقك بالقوارير يا أنجشة . انما أراد النساء لما فيهن من الرقة وقلة الصبر على حث السير[١١] .

وقد جاء مثل ذلك عن الصحابة والتابعين[١٢]

[الفصل الثاني]

فاما التعريض بالسباب ، (١٦٠ و) فقد اختلف الفقهاء فيه ، فقال قوم : لا شيء على المعرّض ، وقال أصحابنا الرازيون : يقول مالك: إنّ المعرّض بالسباب والقذف مثل المصرّح لأنه

---

(٧) قال بعض الناس والصغاني فيهم أن سودة بنت زمعة ماتت أولهن ولكن الحقيقة أن زينب بنت جحش توفيت أولهن وذلك في خلافة عمر بن الخطاب وبقيت سودة حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان فتوفيت فيها سنة أربع وخمسين بالمدينة .

(٨) هذا حديث الاعتكاف وفيه : شد مئزره ، انظر المسند لابن حنبل (ط بولاق) ج ٦ ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤٦ . وقال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث ط القاهرة ١٩٤٨م) ج ١ ص٢٨ : وروي : ورفع المئزر .

(٩) والبيت في ديوانه المطبوع ببيروت بتحقيق الصالحي : ص ١٢٠ .

(١٠) ورد هذا الحديث باختلاف يسير في السنن للدارمي : ج ٢ ص ٤٣٠ . والاية ٩ من سورة الحجر .

(١١) ورد هذا الحديث في المسند لابن حنبل : ج ٣ ص ١٠٧ ، ١١٧ ، باختلاف .

(١٢) اورد الامام البخاري في صحيحه عدة أحاديث تتعلق بالمعاريض في باب خاص وعنوانه : « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » .

قد علم غرضه فيه . وليس هذا موضع الكلام في هذا الباب[١٣] . وكان ابن عباس يقول : ان في المعاريض عن الكذب لمندوحة[١٤] .

[الفصل الثالث]

وخطب رجل إلى قوم ، فقالوا : ما نعرفك أفنأتي الشعبي فنسأله عنك . قال : نعم ، فاتوا الشعبي فسألوا عنه . فقال : ما أعلمه إلاّ ركين الجلسة ، نافذ الطعنة ، فظنّوه صنديدا فزوجوه، ثم نظروا فإذا هو خياط ، فعرّض لهم ولم يكذب.

وسئل عالم عن خاطب فقال : هو يبيع ذوات الأربع ، فنظروا فاذا هو يبيع السنانير .

ومثل هذا كثير .

[الفصل الرابع]

وقد قال شاعر العرب فعرض بأحسن تعريض[١٥] :

لكنّ قومي وإنْ كانوا ذوي عدَد ... ليسُوا من الشّر في شيء وإن هانا

يجزون من ظُلم أهلِ الظلم مغفرةً ... ومن إساءة أهل السُّوء إحسانا

كأنّ ربّك لم يخلُق لخشيَته ... سِواهُم من جميع الناس إنسانا

فعرّض بأحسن ما يكون ودلّ على عجزهم وضعفهم عن الانتصاف من يظلمهم .

ومن هذا الباب قول امرأة لأخرى : جف حجرك وطاب نشرك . وانما ارادت لا ولد لك مولود يبول في حجرك فيجف أبدا ويطيب مع ذلك نشرك اذ كان الابن غير طيب الرائحة .

ومنه قول الآخر[١٦] :

---

(١٣) على أكثرة ما تصفحنا في الموطأ للامام مالك لم نتمكن من رؤية القول الذي أورده ابن فارس هنا .

(١٤) في حديث عمران بن الحصين: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب . ومعناه السعة فيه وفسحة . كما شرحه الزمخشري في الفائق : ج ٢ ص ١٣٩ . وهناك باب من أبواب الصحيح للبخاري (ط اوربا ج ٤ ص ١٦١) يحتوي على المعاريض وعنوانه : ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وورد تحته عدة من المعاريض . كما اشرت إليه في حاشية رقم ١٢ .

(١٥) شاعر حماسي من شعراء بلعنبر واسمه قريط بن انيف (شرح الحماسة للتبريزي ط بولاق ١٢٩٦هـ . ج ١ ص ٥ وقال صاحب القاموس بأنه قطرى بن الفجاة وأيد الصفاني قول التبريزي .

(١٦) لم نهتد الى قائل البيت . واما البيت ففي معاني الشعر للأشناني (ط جمعية الرابطة الادبية بدمشق : ص ١٠٨) باختلاف كنية : « ابا عمير » فانها عند الأشناني : ابا ذنيب ، وقد صحفت كلمة « فجنبت » إلى « تجنب » في طبعة جديدة للكتاب الذي نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في بيروت

فجُنّبتَ الجُيُوشَ أبا عُسَيرٍ وجَادَ عَلَى محلّتِك السَحَابُ

فهذا في ظاهره حسن وإنما أراد القائل : لايكون لك مواش ولا مال ، فيقتدك جيش . ويجود على محلتك السحاب فيكثر الكلأ بأرضك ولا تكون لك راعية من مواشيك .

[الفصل الخامس]

وهذه طريقة استعملها العلماء قديما :

وكان الأصمعي اذا سئل عن شيء لا يعرفه قال : صلّ على نبيك .

وكان الكسائي اذا سئل عن شيء لا يعرفه قال : سبحان علاّم الغيوب ، (... ظ) جبار القلوب .

وكان أبو عبيدة إذا سئل عن مثل ذلك أنشد قول العجاج[17]

يَا رَبَّ لاَ أدري وأنتَ الدّارِي كلُّ امرىءٍ مِنكَ عَلَى مِقْدارِ

وكان المُفضّل إذا سئل عن شيء لا يعرفه يقول : دع ما يريبك إلى مالا يريبك[18] .

وهذه كلها من معاريض أهل العلم .

[الفصل السادس]

ومن هذا الباب قول المرأة التي مرت بمجلس بني نمير فقال بعضهم : إنها رَسْحَاءُ . فالتفتت إليهم وقالت : ما استعملتم قول الله عز وجلّ ولا الشاعر . أرادت قول الله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم[19] وقول الشاعر[20] :

فغُضّ الطرفَ إنّك من نُمَيرٍ فلاَ كَعْبًا بلغتَ ولاَ كِلاَبَا

وقد استعمل الناس مثل هذا واكثروا .

[الفصل السابع]

واما النحارير من النُظّار وأهل اللغة الذين يعرفون للفظة الواحدة وجوها كثيرة فالأمر معهم

---

(١٧) والمشطوران في ديوانه المطبوع بأوربا سنة ١٩٠٣م في مجموع اشعار العرب بتحقيق وليم بن الورد : ٢ ص ٢٦ .

(١٨) وهذا من الحديث النبوي .

(١٩) سورة النور : ٣٠ ونرى هذه الحكاية في العمدة لابن رشيق (ط الاولى سنة ١٩٢٥م . ج ١ ص ٢٦) باختلاف كلمات .

(٢٠) هو جرير يهجو الراعي النمري . والبيت في ديوانه المطبوع بالقاهرة مع شرحه من قبل محمد اسماعيل عبدالله الصاوي : ص ٧٥ .

صعب ولن يحصر المرءَ ذهنُـه كل وقت فقـديغالطه المغالط لكني أوصيه أن يحفظ لفظة واحدة وهو أن يقول لمخاطبه : « ولك مثل ذلك » فانكان أراد سوءاً فقد جاوبه .

فانهم قد يغالطون فيقول أحدهم لمناظره :هذه نكتة نبيلة . والنبيلة من النُبل معـروف ، والنبيلة الجيفة . يقال تنبل البعير اذا مات[٢١] .

ويقول القائل لآخر : أنت أنوس . والأنوس من الكلاب ضد العَقُور[٢٢] .

ويقول القائل لآخر : أنت تضربه بفأسك .والفأس مؤخر قَمَحْدُوَة الرأس[٢٣] .

ويقـول (القائل) للإثنـين : انتما علـى السويّة . وإنما يريد أنتما علـى قتب أعجمـي للبعير والجميع السـوايا .

ويقول أحدهم لصاحبه : أخشى أن تقع في الحرَج . والحرج خشب يشد بعضه إلى بعض يُحمل فيه الموتى ، قال امرؤ القيس[٢٤] :

فإمّا تَرَيْنِـي في رِحَالَـةِ جَابِـرٍ عَلَى حرَجٍ كالقَرِّ تَخفِـقُ أكفَانِي

ويقولون : أنتم جماعة راجحة ، والراجحة ،الغنم العظيمة ، قاله الشيباني[٢٥] .

ومن هذا الباب أن يقول القائل : شرّح اللهصدرك ، بتشديد الراء ، (أي قطعه) .

ومنه أن يقول لآخـر : تيمّن ، إنما يريدقول القائل[٢٦] :

إذا المرءُ عَلْبَى ثمّ أصبَح جِلْـدُه كرَحْضٍ قَدِيـمٍ فالتَيمُّـن أروَحُ

والتيمّن أن يوسد الرجل يمينه في قبره .

ويقول لآخر : أنت حاضر ، قال أبو الوازع:الحاضر صغار الحطب ، قال الشاعر[٢٧] :

---

(٢١) مقاييس اللغة : ج ٥ ص ٣٨٣ .
(٢٢) القاموس المحيط : أنس .
(٢٣) القاموس المحيط : فأس .
(٢٤) والبيت في ديوانه المطبوع بتحقيـق محمدأبـي الفضـل ابراهيـم ، دار المعارف بمصـر ١٩٥٨م) ص ٩٠ .
(٢٥) نبهت إلى طريق أخذه في الحاشية المذكورةآنفـا .
(٢٦) ورد البيت في اللسان (يمن) معـزواً إلىالجعدي تارة وبلا عزو أخرى .
وجاء الصفاني بهذا البيت في تكملته (يمن)وعزاه إلى أبي سحمة الاعرابي برواية :
إذا مـا رأيـت المـرء علبـى وجلـده كضـرح قديـم فالتيمـن أروح
(٢٧) قال الصفـاني في العباب الزاخر (حمـلوعدمل) : قالـت زينـب بنـت الطثـرية ترثي اخاها يزيد . ومن ثم كذابه جاء في حاشيةهذه الرسالة ببيت بعده :

تَـرى جَازِرَيْه يَرعـدَانِ وَنَارُه عَلَيْهَا عَدَاِميلُ الهَشِيم وحَاضِرُه

العداميل ، القديم .

ويقول لآخر : قُم واطو حصيرَك . يريدقول العرب : طوى حصيرَه إذا مات .

ويقول له : أنت حريص . فالحريص فعيل بمعنى مفعول من قولك حرص القصار الثوب اذا شقه[٢٨] .

ويقول : هذا كلام عليه بهاء . قال أبو زيد: بهى البيت بهاءً اذا تخرّق[٢٩] .

ويقول لآخر : أنا أنصحك . قال قطرب :يقال نصحه أسواطا أي ضربه أسواطا .

ويقول : خرّق صحيفته . الصحيفة الوجه وهي البشرة من جلده[٣٠] .

ويقول : انت حصيف . انما أراد أنه أصابه حصَف وهو بَثْر صغار تكون بالجسد تقيح ولا تعظم[٣١] .

ويقول : أنت مصباح . المصباح من الإبل التي تصبح في مبركها لا تبرح[٣٢] .

ويقول لآخر : أنت محروس . الحرس السرقة ، قال أهل اللغة : الحارس سارق الشاء خاصة ، يقال حرسني شاة من غنمي والسرق في سائر المتاع[٣٣] .

ويقولون : ما هو إلاّ عين الحسَن ، للرجل تصفه بالثقل وذلك ان الحسن جبل بعينه[٣٤] .

ويقول للرجل اذا طوّل كلامه (١٦١ ط) :هذا كلام مديد . المديد شعير يجَشّ ثم يُبَلّ فتُضفِرُه الإبل .

ويقولون للرجل يمدح : أنت فارد في العلم وفرد أيضا . الفارد والفرد الثور[٣٥] .

يجران ثنيا خيرها عظم جاره بصيرا بها لم تعد عنها مشاعله

وترى أن القافية لامية لا غير . ويروى البيت : كرحص عسيل ، ويروى : كضرح . وأما ابو الوازع فلم نتمكن من معرفته في المصادر التي بين أيدينا .

(٢٨) مقاييس اللغة : ج ٢ ص ٤٠ .
(٢٩) نفس المصدر : ج ١ ص ٣٠٧ .
(٣٠) نفس المصدر : ج ٣ ص ٣٣٤ .
(٣١) نفس المصدر : ج ٢ ص ٦٨ وفيه بثر صغار يستحصف لها الجلد .
(٣٢) نفس المصدر : ج ٣ ص ٣٢٨ . وقال ابن فارس : المصباح من الناقة تبرك في معرسها فلا تنيث حتى تصبح .
(٣٣) يقال : حرسني شاة أي سرقني ، انظر العباب الزاخر : حرص .
(٣٤) مقاييس اللغة : ج ٢ ص ٥٨ .
(٣٥) نفس المصدر : ج ٤ ص ٥٠٠ ، وفيه الثور المنفرد .

ويقولون للرجل إذا عنّف : أنت عاسِف ،والعاسف هو البعير بالموت[٣٦] .

ويقولون للرجل يعين الآخر : أنت تعضده ،العضد عضد الشجرة وهو قطعها[٣٧] .

ويقولون للرجل ينسبونه إلى الغفلة : أنتفي غفوة ، الغفوة زُبيَة الأسد التي يصاد فيها .

ويقولون للرجل يوهمون أنهم يمدحونهبالسَبْقِ : لك الشأو أي السبق وإنما الشأو ما يخرج من تراب البئر .

ويقولون للرجلين يتعاونان : ما هذاالترادف ، وهي لفظة مشتقة من الردف تدل على شيء قبيح .

ويقولون : أخلّ به ، تقول العرب خلوتبه أي سخرت منه[٣٨] .

ويقولون للقوم يكثر كلامهم : ما هذاالنبيب ، والنبيب انما هو للتيوس .

ويقولون للرجل يؤازر الآخر : أنت شقيقه،فاعنه الشقيق الثور[٣٩] .

ويقول الرجل لآخر: أنت معذور، العُذْرَةُوجع الحلق[٤٠] .

ويقول : قد رأيتك ، أي ضربت رئتك .

ويقول : مالك كأنّك ظليم . الظليم تراب البئر التي تحفر في موضع لم يحفر[٤١] .

ومن المغالطة في اللفظ قوله : ينبغي لك أنتَحْلَم ، يُوهمه أنه أمره بالحِلم وانما تحلَم ، بفتح اللام ، من قولك حلم الأديم يحلَم إذا تثقبوفسد .

ويقال : هو يغضب بك ، يقال غضب فلانبفلان إذا غضب له بعد موته .

ويقولون : قد وَعَيْتَ ، يقال وعى الجرحيعى وعيا إذا سال قيحه .

ويقولون: غفر، يقال غفر يغفر إذا نُكِسَ.

---

(٣٦) قال ابن فارس في مقاييسه (ج ٤ ص ٣١٢) :ان البعير العاسف هو الذي بالموت وهو كالنزع في الانسان .

(٣٧) مقاييس اللغة : ج ٤ ص ٣٥٠ .

(٣٨) نفس المصدر : ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٣٩) نفس المصدر : ج ٣ ص ١٧٢ . هو الفحلاذا استحكم وقوى .

(٤٠) نفس المصدر : ج ٤ ص ٢٥٦ .

(٤١) نفس المصدر : ج ٣ ص ٤٦٩ .

ويقولون عند رفعه الصياح : مالك تنعَر ،يقال نعر الجرح بالدم إذا ارتفع دمه[٤٢] .

وينشدون (١٦١ ظ) :

وَمَنْ مَلأَتْ أذنَيه حُجَّةُ خصمه وَلَمْ يَرَ وَجه النَقْصِ صَاحَ وَجلَّبا

ويقولون : أفِدْه يُوهمون انه من الفائدةوإنما يريدون بأفِدْه اقتله . يقال : أفاده الله إذا قتله وفاد هو اذا مات .

ويقولون : أسْعِدْه ، والاسعاد لا يكونإلاّ في البُكاء[٤٣] .

ويقول للرجل يتكلم على أثر كلام أخر :أنت تتلوه ، يقال : تلوته اذا خذلته[٤٤] .

ويقولون : هو مخدوع . يقال : رجلمخدوع إذا قطع أخدعاه[٤٥] .

ويقول في المناظرة : كُسِرت حِجَاجه ،يوهمون الحجة والحِجَاجُ العظم المستدير حول العين .

ويقولون : حِسّك قوي ، يوهمون انه منأحست بالشيء والحس وجع يأخذ المرأة في رحمها .

ويقولون : كلامك محدود ، يوهمون بهالحد وانما يريدون محدود عن الخير .

ويقولون : ما هو إلاّ حُرّ وإنما يريدونفرخ الحمام وولد الحية[٤٦] .

ويقول : لك في قلبه حُبّ انما يريد الحُبّمن الفَخّار .

ويقول : أنت لنا حميم ، الحميم الماء الحارّ .

واذا قال خصمه : قد قَدحتَ في كلامك ،يريد قد قدحتَ فيه بقدّاح ، القدّاح، الرَخْص من الوَرَق .

ويقول : فلان مُحَذّق ، يُوهم أنه محذّقفي صناعته وانما يريد بالمحذّق المُقطّع ، يقال حَذِق الحبل أي قُطع .

---

(٤٢) جرح نعار ونعور ، إذا صوت دمه عندخروجه منه ، انظر مقاييس اللغة : ج ٥ ص ٤٤٨.
(٤٣) نفس المصدر : ج ٣ ص ٧٥ .
(٤٤) نفس المصدر : ج ١ ص ٣٥١ .
(٤٥) كذا في الاصل ولكن المعاجم الكبرى تحتفظبمن قطع أخدعه (واحد لا مثنى) .
(٤٦) مقاييس اللغة : ج ٢ ص ٦ .

ويقول : اقترحتُك من بين الجماعة ، يوهم القريحة وإنما يريد قولهم : اقترحت الجمل اقتراحا أي ركبتــه قبل أوان ركوبــه[٤٧] .

ويقول : أنت حكيم ، يُوهم الحكمة وإنما يريد حكمتُ الفــرس اذا جعلــت في رأســه حكمة[٤٨] .

ويقول : أنت تجحَد ، وهو من جحد إذا شحّ وضاق وقل خيره .

ويقول الرجل إذا تبع آخر في كلامه : أنت تقفوه ، إنما يريد أنت ترميه بفجور .

تقول العرب : قفاه ، إذا رماه بفجور .

ويقولون : هو يلعق إصبعه ، وانما هــذا كناية عن الموت[٤٩] .

ويقولون : قــد قوِي كلامك ، يُوهمون القوة وإنما هو من قوى المطر احتبس .

ويقول أحدهم للآخر : أنت جليل ، يُوهمه الجلالة وإنما الجليل أضعف النبات . (١٦٢ و)

ويقول : كلامك مُدَبّج ، والمدبّج مــن الهَام القبيح الهامة .

ويقول : أنت في هذه المسألة رجُل ، إنما يريد راجل . قال الخليل : رجُلٌ رجُــلٍ أي راجل والمرأة رجْلة والجمع رِجَال ، قال :

فَــإِنْ يَــكُ قَولُهــم صَــادِقاً فَسِيْقَتْ نِسَــائي إليهم رِجَــالاً

أي رَوَاجِل[٥٠] .

ويقول أحدهم للآخر : ما أنت إلاّ نجم ، يريد بذلك ما لا ساق له من النبات والشــجر ، ماله ساق[٥١] .

[الفصل الثامن]

قال ابن فارس : وهي طريقــة استُعمِلت قديما . قالت لؤلؤة العبدية للحجاج لما سألها عن نفسه : ما أراك إلاّ قاسِطا عادلا . فقال لأهل الشام : إنما تريد بالقاسط قول الله تعالى : وأما

---

(٤٧) نفس المصدر : ج ٥ ص ٨٣ .
(٤٨) نفس المصدر : ج ٢ ص ٩١ .
(٤٩) اللسان : لعــــق .
(٥٠) نفس المصدر : رجل .
(٥١) مقاييس اللغة : ج ٥ ص ٣٩٧ .

القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ، ونريد بالعادل قوله تعالى : ثُمَّ الذين كفَروا بربِّهم يَعدِلُون(٥٢) ، فقالت لؤلؤة : قاتله الله من منافق ، ما أفهمه .

وقد دللتك على الطريقة وأوضحت لك المحَجّة وعرّفتك الكلمة التي تجيب بها من حاول مغالطتك ، وملاك الأمر علمُ اللغة والتوسع فيها، والله يكفيك شرّ مَن أراد بك غير الجميل .

تم الكتاب

(٥٢) الآية الأولى من سورة الجن ورقمها ١٥ ، والثانية من سورة الانعام ورقمها ١ .